الاستراتيجية الأمريكية .. والأهداف الخفية !

بدر بن سليمان العامر
(18/12/1423) 19/02/2003

نقصد بالاستراتيجية الأمريكية تلك السياسة الدولية التي تديرها أمريكا، ويقف معها قوى أخرى تشكل حلفاً (غربياً) متشابك الأهداف والمطامع؛ لصياغة واقع ومستقبل العالم المعاصر.

هذا التحالف يشهد في الواقع المعاصر نشوة وقوة وتقارباً بعد سقوط المنظومة الشيوعية الشمولية، وإن كانت أمريكا هي الراعية الرسمية والتي ستنال نصيب الأسد من هذا التحالف، إلا أن الدول الغربية والتي تجمعها مع أمريكا قواسم مشتركة كثيرة - وخاصة بريطانيا - تقدر أن الانضواء تحت أمريكا في الوقت الحاضر خيار لا بد منه؛ حتى لا تنفرد أمريكا بالنصيب الأكبر من هذه الاستراتيجية المتشعبة الأهداف والمطامع والوسائل .

بدأت إرهاصات هذه الاستراتيجية للمراقبين مما يدور في أروقة السياسة والفكر والإعلام الغربي، منذ أن بدأ الإعلان عن النظام العالمي الجديد، ومناقشة المخاطر التي تعوق انصياع العالم أجمع لهذه الاستراتيجية .

وينظر الغرب إلى العالم الإسلامي نظرة خاصة، فهو يشكل جزءاً من الصراع الحضاري بين الشرق والغرب، وبين الإسلام والمسيحية، ويمتلك مقومات السبق الحضاري، والريادة الفكرية، ولذا ظهرت النظريات المتضاربة في استشراف مستقبل هذا الصراع، سواء مع العالم الإسلامي أو مع غيره من الأمم والحضارات ، فظهرت نظرية (نهاية التاريخ) لفرانسيس فوكوياما، التي قامت على حتمية تاريخية تماماً كما هي الفكرة الشيوعية التي رأت أن العالم يسير حتماً في سيرورته التاريخية صوب الشيوعية.

تشير نظرية "فوكوياما" إلى أن العالم سيقف على أعتاب (الليبرالية) الغربية، وبالأخص القيم الأمريكية التي يراد لها أن (تعولم) في وقت الانفراد الأمريكي في قيادة البشرية، وتلك هي المحطة النهائية في تاريخ الصراع البشري، أي أن نهاية تاريخ الصراع ستفضي إلى انتصار نهائي للرأسمالية الليبرالية.

وفي مقابل هذه النظرية ظهرت نظرية (صراع الحضارات) ، وهي تعتقد جازمة أن مستقبل الأيام سيشهد صراعاً قوياً بين الحضارات الإنسانية ، وهي نظرية تجيش الوعي والنفس الغربية للترقب بحذر شديد حول هذه الحضارات المرشحة للصراع .

ولما للعالم الإسلامي من مقومات حضارية، تاريخية وسكانية وعقدية، وجغرافية، ومقومات حضارية كبيرة، فإن الغرب جعل محور الاهتمام بهذه البقعة جزءاً من سياسته الطامحة إلى استعمار العالم من خلال المؤسسات الأممية التي يسيطر عليها بعد الحرب العالمية الثانية .

في خضم هذا الترقب والتوجس والاستعداد، جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي أسرعت بشكل كبير ، بل طوت الأيام لتجعل العالم في واقع قلق ومضطرب، ولتقنع أهل السياسة في الغرب بصحة ما سطرته أيدي ضاربي الطبول للصراع الحضاري، وخاصة أن المكلوم من الضربة قائد الغرب وحادي مسيرته (أمريكا) الذي تلقى صفعة قوية جعلته كالثور الهائج الذي لا يلوي على شيء، فراح يصب جام غضبه على أرض أفغانستان المسلمة، ويمطرها بوابل كبير من الحمم والقذائف راح ضحيتها آلاف من الدماء البريئة لمجرد الانتقام!

الاستراتيجية الأمريكية في العالم العربي والإسلامي ضخمة ومتشعبة ولها مطامح ومطامع كبيرة ، ولعلي ألخص أبرز أهدافها في:

المد الإسلامي ... والترقب الغربي :

يشكل بزوغ ظاهرة المد الإسلامي الكبير هاجسا كبيرا للغرب عامة ، ولأمريكا خاصة، ولذا عني المفكرين والكتاب والمثقفين الغربيين برصد هذه الظاهرة في وقت مبكر، ولا تعجب أن كاتباً مشهوراً معروفاً في أوساط المثقفين الإسلاميين وهو (برنارد لويس)، وهو مستشرق يهودي الديانة بريطاني الجنسية، أمريكي الشعور، مقتنع جدا بالسياسة الأمريكية في الشرق الأدنى؛ لأنه أحد المنظرين لهذه السياسة في الجامعات الأمريكية .

هذا الكاتب الذي يبلغ من العمر الآن ستاً وثمانين سنة ، كتب في التوجهات الإسلامية وموقف الحركات الإسلامية من الديمقراطية ونقدها نقداً شديداً ، وجاب العالم الإسلامي كله، ومرّ على جامعاته ومعاهده وكل مناطق التوجيه الفكري فيه، ويمثل مثالاً قوياً لحركة الرصد للحركات الإسلامية والظاهرة الصحوية الإسلامية، وخلق سياسة عامة في الغرب - هو وغيره من المفكرين - لكيفية التعامل معها .

لقد ارتاح (برنارد لويس) كثيرا لأحداث الحادي عشر من سبتمبر وبزوغ ابن لادن في الواقع؛ لأنه يرى أنه يشكل هو وطالبان الصوت الشاعري البليغ المعبر عن الغضب الإسلامي، فهو يبرهن على صحة نظريته في وجوب التدخل الأمريكي والغربي في الشرق الأوسط للوقوف أمام هذا المد الإسلامي وإحلال النظم الديمقراطية فيه .

إن الموقف الأمريكي من الحركات الإسلامية، سواء الجهادية منها أو الدعوية أو الإغاثية أو المؤسسات الخيرية، أو المناهج التعليمية بدا واضحاً بجلاء بعد الحادي عشر من سبتمبر، وأسهمت وسائل الإعلام الغربية في بيان هذا الموقف من خلال الدعوات الصريحة إلى مقاومة هذه الجماعات وتهديم مؤسساتها، ولو أدى الأمر إلى التدخل المباشر في مناطق العالم الإسلامي بحجة الحرب على (الإرهاب) الذي رصدت له أمريكا الميزانيات الضخمة وحددت له فترة زمنية تصل إلى عشر سنوات من الحرب الضروس على هذه التوجهات، والتي تدعي بزعمها أنها تشكل خطراً على الأمن العالمي والإنساني .

فمواجهة المد الإسلامي جزء من الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة ، وهو لا شك يحتاج إلى إفراده بالكتابة لبيان السبل التي أعدتها أمريكا وبدأت في تنفيذها في العالم الإسلامي اليوم .

إن أمريكا ومن خلال حربها على الإرهاب تنظر إلى الحركات الإسلامية على النحو الآتي :

1- الحركات الجهادية التي تستخدم القوة والحرب، تواجه مباشرة بحرب مضادة وقضاء مبرم .. واستئصال .

2- الحركات الإسلامية الدعوية التي تشكل البنية التحتية للحركة الإسلامية المعاصرة بصقورها وحمائمها، تعاملها الاستراتيجية الأمريكية من خلال التحجيم وتجفيف المنابع والحصار الأمني والرصد والتخطيط .

3- المؤسسات الإغاثية الإسلامية الداخليه والخارجية، تسعى الاستراتيجية الأمريكية إلى محاصرتها مادياً، وتجميد أموالها ومنع تدفقها المالي وتصعيب تحركها في الداخل والخارج .

4- أما الدعاة المفكرون والعلماء، فترى أمريكا انهم يشكلون حادي المواجهة مع الغرب من خلال بث الأفكار الإسلامية، وتعميق الولاء للأمة ودينها، وهؤلاء ستتعامل معهم أمريكا بالحرب الإعلامية وتضييق فرص الحضور الإعلامي والتأثير الجماعي على الأمة الإسلامية، ولا تعجب أن أمريكا الآن تحضر لندوات مع علماء العالم الإسلامي لمناقشة الأفكار التي يلقونها على مستمعيهم، والتحكم في المصطلحات الإسلامية وتغيير مدلولاتها بما يتوافق مع الاستراتيجية الأمريكية، حتى وصل الحال إلى مناقشة إعطاء المرأة فرصة لإلقاء خطبة الجمعة، وأن يكون منبر الجمعة منبراً اجتماعياً تطرق فيه مشاكل المجتمع مع مناقشة المصلين للإمام دون انفراده بالإلقاء والآخرون يستمعون إليه !

5- المناهج التعليمية: وهي تشكل بناء أفكار الأمة الإسلامية، وقد تصاعدت النداءات الأمريكية والغربية وخاصة بعد أحداث 11/9 إلى تغييرها، وحذف كل ما يتعلق بعلاقة المسلمين مع الآخرين، وحذف مفهوم (الجهاد) من المناهج وصياغتها بصورة تتوافق مع الحياة المعاصرة الغربية .

التدخل الأمريكي .. لإقامة الديمقراطية :

ينظر الغرب عامة، وأمريكا خاصة إلى أن العالم الإسلامي عالم تغيب فيه القيم الإنسانية؛ بسبب وجود أنظمة الحكم المستبدة، وأن الديمقراطية - كما يفهمها الرجل الغربي - غائبة عن الوجود في العالم الإسلامي ، وقد ألّف (برنارد لويس) كتاباً اعتبر بمثابة البيان الناطق باسم المفكرين الغربيين، تحت شعار (إقامة الديمقراطية في الشرق الأوسط) وقد كان الكتاب بعنوان (ماذا كان الخطأ: التـأثير الغربي والتجاوب الشرق أوسطي) وهو يتحدث عن الفشل الذريع الذي وقع فيه العرب والمسلمون في اللحاق بالحداثة الغربية، وسقطوا في دوامة العنف والحقد والغضب .

في مقابل إعلان الفشل الإسلامي في اللحاق بالحداثة الغربية، فإن (لويس) يعتبر أن دولة إسرائيل وتركيا هما الدولتان النموذج في الشرق

الأوسط في مقابل التفكك العربي والفوضى العارمة في دول العالم العربي والإسلامي .

هذا التصور عن الشرق الأوسط يعد ذريعة إلى المطالبة الصريحة بالتدخل المباشر في العالم الإسلامي وإقامة الديمقراطية بالقسر، وهذه المطالب لم تكن ردة فعل لما حدث في 11 / 9 وإنما قدمت كمشروعات في زمن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، وقد سمي المشروع باسم (القرن الأمريكي الجديد) حيث وجهت رسالة إلى الرئيس الأمريكي قي شباط (فبراير) 2002 تطالبه باتخاذ ضربة عسكرية وإشعاعية لإطاحة بالنظام العراقي.

ولقد كان من ضمن الموقعين على العريضة كتاب متشددون إضافة إلى برنارد لويس ورامسفيلد وولفوفيتز، وأناس قد وصلوا إلى مناصب قيادية في حكومة الرئيس بوش، أمثال "دوغلاس فايت" مساعد وزير الدفاع ، "وإليوت إبرامز" الذي تسلم مؤخرا منصب المستشار الرئاسي الخاص لشؤون الشرق الأوسط "وزالماي خليل زاده" ورئيس المجلس الاستشاري للدفاع "ريتشارد بيرل" ووزير الخارجية المساعد "ريتشارد بولتن" .

العراق ... أولاً :

بدأت هذه الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق والعالم الإسلامي من العراق لتغيير أنماط الحكم، وما يتبعه من تغيير البنية الفكرية والثقافية والاقتصادية في تلك الدول، وبالأخص في دول الخليج العربي، ومما يذكر في هذا الصدد أن (برنارد لويس) عمل على إقناع الإدارة الأمريكية إلى تحويل وجهة أولوياتها إلى العراق، وساهم في تصعيد الوضع بين أمريكا والعراق.

إن الأمر الذي رشح العراق لأن يكون نقطة البداية في تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية هي مضاعفات حرب الخليج الثانية، واعتبار العراق خارجاً عن المنظومة الدولية، والضرب على وتر امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، واتخاذ وضع العراق السياسي ذريعة إلى التدخل المباشر لتحطيم هذه الدولة وإحلال نظام (القرضائي) يكون وسيلة إلى الضغط السياسي والعسكري على دول المنطقة الإسلامية والعربية كافة !

إن (برنارد لويس) وغيره من الساسة والمفكرين الغربيين يرون أن العالم الإسلامي قد وصل إلى درجة من التخلف تستلزم من يرتب لهم أوضاعهم الداخلية والمدنية، وينقلهم إلى واقع يرفعهم عن سلطة الظلمة الفاسدين! وهذا ما سيحدث -على قول لويس وجماعته- بشكل تدريجي ينقل العرب من واقعهم إلى الديمقراطية الغربية .

ويذهب لويس إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أن من يعارض التدخل الأمريكي العسكري يرفض الديمقراطية في المنطقة !! وهو بهذا يواصل مسيرته من خدمة بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية، إلى خدمة الإمبراطورية الأمريكية الجديدة، آملا في الوصول إلى ما عجزت عنه بريطانيا وفرنسا !

الحرب من أجل النفط !

المطامع الغربية في العالم الإسلامي كثيرة، ومن أهم هذه المطامع هي تربع العالم الإسلامي على احتياطي ضخم من النفط يشكل مادة الحياة الصناعية المعاصرة، وهو لا شك مطمع أمريكي، حيث سيأتي هؤلاء إلى العالم الإسلامي لنهب مكشوف للثروات من نفط ومشتقاته، وغـاز وغيره .إن نشطاء منظمات السلام الغربية، وهم يقومون بمعارضة الحرب المرتقبة على العراق، يرفعون شعارات تحمل مدلولات كبيرة: (لا لسفك الدماء من أجل النفط)، فهم يدركون الهدف الذي تسعى إليه أمريكا من شن الحرب على العراق، ومن ثم على دول المنطقة جميعاً إلا من قَبِل كافة الشروط وأعلن الولاء التام ولم يغرد خارج السرب الليبرالي الغربي، وهو لا شك هدف مستقل وكبير تسعى إليه أمريكا وحلفاؤها .

شن الحرب على العراق ستكمل (طوق النفط) كله، وسيجعل إيران في موقف صعب، وسينسحب هذا الوضع ليمتد من دول الخليج إلى بحر قزوين وآسيا الوسطى وأفغانستان، وهذا يتوافق مع وضع إيران في (محور الشر) الذي تصورته أمريكا واستهدفته في حربها الاستراتيجية القائمة !

هذا الوضع الأمني للنفط سيصنع سياسة نفطية جديدة، تقوم على إفقاد الدول النفطية القدرة على تحديد سعر عادل للنفط، وضمان احتكار أمريكا للاستثمار في حقول النفط، وإلغاء كل العقود التي وقعتها هذه الدول مع أوروبا وروسيا ! وهذا سيتساوق مع وجود عسكري أمريكي دائم في هذه المنطقة من العالم، وهو لا شك يشكل عودة عصور الاستعمار من جديد !

إن (الحرب على الإرهاب) والذي يشكل شعاراً للاستراتيجية الأمريكية سيعيد الناس إلى عصور الاستعمار، واحتكار الأسواق المالية والموارد الأولية كما كان الوضع قبل عصر الاستقلال ، وستفرض سياسة أمركة السوق بالقصر والعنف!

إسرائيل .. الولد المدلل : من يحميه ؟

سبقت الإشارة إلى أن الغرب يعتبر إسرائيل ربيبته في المنطقة، فهي في رأيه تشكل الدولة الديمقراطية المثالية في عالم متخلف حضاريا ومدنيا وسياسيا، ولذا فإن وضع إسرائيل التي يجمعها بالغرب قواسم حضارية ودينية مشتركة، تمثل المجتمع المدني الحقيقي، ولذا فإن حمايتها من واجبات الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، وهذا جزء من أهداف توجيه الضربة المرتقبة إلى العراق وتدمير قوته العسكرية التي لم يكن تدميرها كافياً بقدر كبير بعد غزو العراق للكويت في عام 90، فالعراق يشكل خطرا حقيقيا على إسرائيل في ظل نظام البعث، فكيف لو تمكنت الأصولية الإسلامية من الإمساك بزمام الحكم في الدول الإسلامية، الأمر سيصبح خطيراً جداً على إسرائيل، ولذا كان من واجب الغرب أن يوازي في حربه على (الإرهاب)، وبين تفكيك القوى التي تشكل الخطر على إسرائيل، قبل أن يتمكن المد الإسلامي من الحكم في تلك البلاد!

إن إزالة الخطر العربي على إسرائيل من المهمات التي توجه إليها (برنارد لويس) مع الإدارة الأمريكية، وركز في خطاباته على الخطر على

الغرب في حالة حصول (الإرهابيين الإسلاميين) على أسلحة الدمار الشامل سواء في العراق أم في سوريا أو في إيران، وأنه لا يجوز لأمريكا أن تبدي الضعف تجاه العرب والمسلمين وقد قال مسؤول أمريكي في مجلة نيويوركر: إن لويس صرف المخاوف من إثارة غضب الشارع العربي بالقول: (لا شيء مهم في ذلك الجزء من العالم سوى الإرادة الحازمة والقوة(.

وهو مع ذلك يرى أن إسرائيل قد استعجلت في الانسحاب من جنوب لبنان، وقدمت دلالـة ضعف دفع الفلسطينيين إلى إطلاق الانتفاضة الثانية .